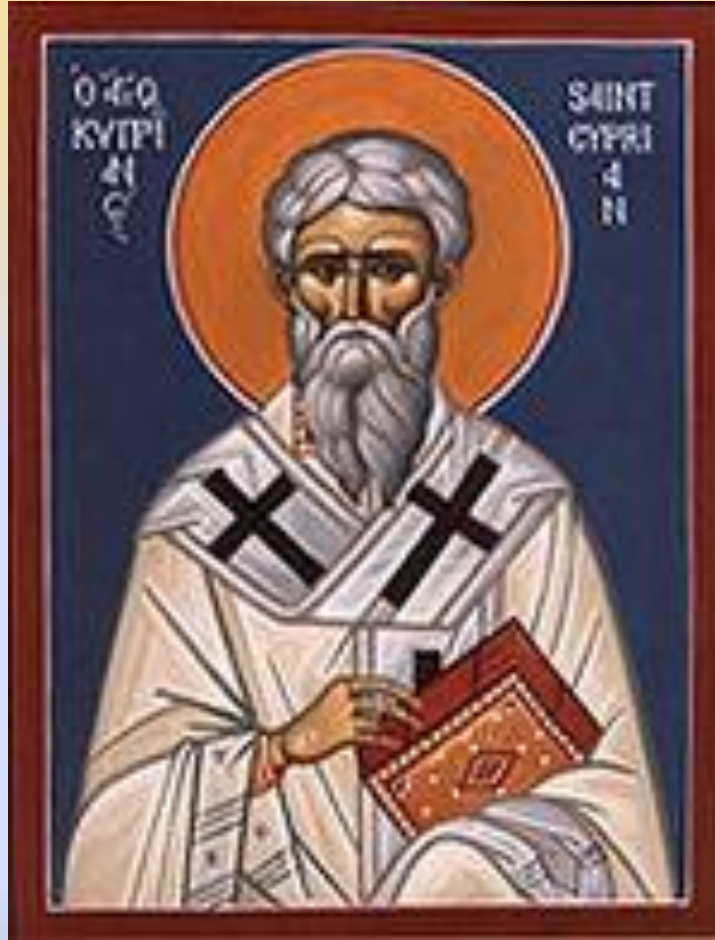


# القديس كبريانوس القرطاجي



# سيرته

- ولد القديس كبريانوس ما بين الأعوام 200-210م في قرطاجة ( إفريقيا الشماليّة) في كنف عائلة أرستقراطية روميّة وثنيّة.
- درس الخطابة وعمل بها وقد تمتّع بالعديد من المواهب قبل اهتدائه وسيامته الأسقفية.
- تحوّل إلى المسيحيّة سنة 245م بتأثير من كاهن يدعى سسيليوس أو سسيليانوس (ككيليوس أو كاسليان).
- هجر الحياة العامة وانصرف إلى البريّة لمدة عامين من الزّمن، لكن تقريبًا سنة 248م. سيمّ أسقفًا في قرطاجة.

- بعد سيامته أسقفًا بحوالي السنّة أُعلن عن إضطهاد داكْيوس له ورميه للأسود مما اضطرّه لهجر أبرشيّته مع عدد من المؤمنين حوالي 14 شهرًا، اختبأ بالقرب من قرطاجَة ومن هناك اهتمّ برعاية المؤمنين والكنيسة.
- عاد كبريانوس إلى كنيسته بعد وفاة داكْيوس (فصح سنة 251م.)، وحاول أن يعيد ضبط شؤونها ويواجه مشكلة السّاقطين في الكنيسة.
- بسبب اعترافه بالإيمان اعتُقل كبريانوس ونفي سنة 256م، لكن ما لبث أن عاد بعد مدّة قصيرة إلى أسقفِيّته ليتمّ اعتقاله من جديد وإنزال عقوبة الموت به بقطع الهامة (في 14 أيلول 258م).

- أثبت ذاته كأب للكنيسة، ككاتب، وراعٍ، وشهيد، ومعلم عظيم في الكنيسة الجامعة.
- أحد كبار آباء الكنيسة اللاتينية والحامل الأصل للتقليد الكنسي.
- لم يرد ذكره في الروزنامة الأرثوذكسية لأنه ظن أنه نفسه والقديس الشهيد في الكهنة كبريانوس الأنطاكي الذي تُعيد له الكنيسة الشرقية في الثاني من شهر تشرين الأول، أما القديس كبريانوس القرطاجي فتُعيد له الكنيسة اللاتينية في السادس عشر من شهر أيلول، لذا تم تثبيت سيرته في السنكسار بهذا التاريخ.

# ما قاله عن اهتدائه للمسيحية

- يقول عن اهتدائه: "عندما كنت راقداً في ظلمة ليلة عمياء، محروماً في حياتي غير الواعية من نور الحقيقة، كنت أجد، بسبب مسلكي، صعوبة في الحصول على الخلاص الذي وعدنا به الله في رحمته. أن يولد المرء من جديد فيخرج من جلده القديم ليتشدد بلامسة المياه الخلاصية، أن يغير نفسه وذهنيته، من دون أن يغير جسده، كنت أقول أن هذا الانقلاب هو مستحيل... لكن، بفضل المياه التي تجدد الحياة، غُسلتُ من خطاياي القديمة وانتشر من العلى نور في قلبي التائب ... يا له من ارتداد رائع، لقد صرت إنساناً جديداً ... والحياة الأرضية والمولودة من الجسد بات روح الله هو الذي يحييها من الآن. هذا عمل الله! أجل عمل الله، كل ما نقدر عليه يأتي من الله".

# مفعول النعمة

- يقول: "الرّوح القدس ينتشر بدون كلل وبلا مقدار وبلا نهاية، فيتخطّى الحدود ويغمرنا بعطاياه. فلتمتلئ نفسنا عطشًا ولتتفتح، وبمقدار ما تكون إمكانيّاتنا التي يحفرها فينا الإيمان عظيمة، تفيض فينا النعمة بغزارة أعظم".

# مِن أقواله

• طلبَ القديس من المؤمنين الثبات في الشدة فقال:

"على جنود المسيح أن يستعدّوا بشجاعة صلبة، فليحسبوا أن كأس دم المسيح تُعطى لهم كل يوم ليتمكّنوا من أن يسكبوا هم أنفسهم دمهم من أجل المسيح. والربّ، سيّد التواضع والصّبر والعذاب، قد أدّى هو نفسه من قبلنا هذه الخدمة عينها. ما علّمه قد عمّله هو أوّلاً".

"الطّاعون يفحص برّ كل واحد، ويمتحن الضّمير الإنساني: هل يعتني الصّحيح بالمريض؟ هل يحبّ الإنسان قريبه؟ هل يهتمّ السيّد بعبده الذي ينازع؟ هل يستجيب الطبيب لاستغاثة من أصابتهم العدوى"؟ (كتبها عندما أصاب الإمبراطوريّة الروميّة مرض الطّاعون)

# مجمع حول خلاص السّاقطين

- في عام 251م، دعا كبريانوس إلى مجمع من الأساقفة الأفرقة الذين وافقوه في آرائه وتدييره لخلاص السّاقطين. لكن مجموعة انقسمت عن كبريانوس وذلك لأنها رأت في تعاليمه وآرائه قسوة شديدة وكان على رأسهم الشّماس فيليكسيسيموس إلى جانب خمسة كهنة آخرين. في عام 252م انتخبوا لأنفسهم أسقفًا منشقًا يُدعى فورتوناتوس. في حين عمدت مجموعة أخرى إلى إدانة كبريانوس لتسامحه الشّديد، وانتخبت أسقفًا آخر يُدعى مكسيموس ذي ميول مونتانيّة. وعلى هذا النّحو وجد كبريانوس نفسه في الوسط والوحيد الذي يملك الحقيقة.



# معمودية الهراطقة

- واجهت الكنيسة مشكلة معمودية الهراطقة. كبريانوس سار على خطى الكنائس في آسيا الصغرى، ومتبعاً تعليم معلمه ترتليانوس، قام بتعميد كل الذين انحدروا من هرطقات مختلفة طالين الانضمام إلى الكنيسة. على عكسه تماماً كان استفانوس أسقف روما (انتخب سنة 254)، الذي اعتبر معموديات الهراطقة صحيحة ولم يقبل بإعادة تعميدهم مجدداً.
- تكلم كبريانوس كثيراً وحرر أعمالاً عدّة ودعا إلى مجمعين قد تبنيًا في النهاية آراءه. يقول كبريانوس في إحدى رسائله: "ليس إلا معمودية واحدة، وهي في الكنيسة الجامعة، وبالتالي لا نُعيد المعمودية بل نعمد الذين أتوا من ماء زنى وماء دنيوية، عليهم أن يُغسلوا من جديد ويُقدّسوا بماء الخلاص الحقيقية ... المعمودية الوحيدة هي عندنا".

# المشاكل التي واجهت الكنيسة في زمانه

- المشاكل الداخليّة التي نشأت عن اضطهاد داكوس وإجباره المسيحيين على تقديم الأضاحي للأوثان.
- وحدة الكنيسة في غياب مفهوم واضح لمعنى التقليد وكيفية الأمانة له. من هنا ظهر العديد من المجموعات التي انشقت عن الكنيسة. خاصّة في الغرب، والتي تدّعي بأنّها كنائس أصيلة.
- صحّة معموديّة الهرطقة أو عدم صحّتها.

# وحدة الكنيسة

- التّشديد الرّئيسي لديه هو أنّ الربّ أسّس فقط كنيسة واحدة ولهذا فالأسقفية واحدة. الشّركة الكاملة في مدلول الأسقفية الفريد هو ما يشكّل الضّمان لأصالة وجامعية كلّ أسقف على حدة. يحاول القديس كبريانوس أن يشرح هذه الفريدة المزدوجة (الكنيسة - أسقفية أو أسقف) من خلال أقوال الربّ للرّسول بطرس "أنت بطرس وعلى هذه الصّخرة أبني كنيسة" (مت 16: 18).

- بالنّسبة للقديس ما قاله الربّ بأنّه سيؤسّس كنيسة على رسول واحد، فقط كي يؤكّد على موضوع وحدة الكنيسة، بمعنى آخر كي يُظهر أنّه وإن كان لدينا العديد من الرّسل والأساقفة، وإن كان لدينا العديد من الكنائس الأصيلة، فالكنيسة تبقى واحدة، متّحدة وغير مُجزّأة.

# رسالته الأخيرة

• آخر رسالة كتبها وقد وصلت إلينا، حيثُ خاطب فيها كلَّ شعب قرطاجة مع كهنتها وشمامستها، قائلاً:

"من الموافق أن يعترف الأسقف بالربِّ في المدينة التي يرأس فيها كنيسة الربِّ، وهكذا يشعّ بهاء اعترافه على الشعب كلّه ... عندكم أريد أن أعترف بالربِّ وأعاني الاستشهاد، من عندكم عليّ أن أنطلق لأذهب إليه"، ويذكر أنّه حين سمع قرار الحكم بحقه، قال بصوت هادئ: "المجدُ لله".

# مِن تَعَالِيمِهِ

- لا يمكن لأحد أن يكون الله أبًا له ما لم تكن الكنيسة أمًا له، وفي إحدى رسائله يقول: "كيف يمكن أن يكون مع المسيح من لم يكن مع عروس المسيح؟"
- يؤكد أنه لا يجب أن يُمنع أحد عن المعمودية وخصوصًا الأطفال المولودين حديثًا.
- أشاد بمعمودية الدم، لأنها أعظم بالنعمة وأقوى وهي توصل إلى الله فور انطلاق النفس.
- سرّ الشكر هو ذبيحة إلهية تُقدّم للأب كما قدّم المسيح نفسه ذبيحة للأب أبيه، سرّ الأفخارستيا يمثل الفداء على الصليب، وفيه فائدة فعلية لراحة نفوس الجميع حتى الشهداء. والخبز الجوهري يرمز إلى اتحاد الكلّ مع بعضهم ومع المسيح. يقول أيضًا أن كلّ ذبيحة إفخارستية تقام خارج الكنيسة الجامعة ليست إلهية ولا فائدة منها.

# طروبارية القديس

- صرت مُشابهًا للرّسل في أحوالهم وَخليفةً في كراسيهم فوجدت بِالعملِ المرقاةَ إلى الثاوريا، أيها اللاهج بالله. لأجلِ ذلك تَتَّبَعْتَ كلمةَ الحقِّ باستقامةٍ وجاهدتَ عن الإيمانِ حتّى الدمّ أيها الشهيد في الكهنة كبريانوس. فتشفّع إلى المسيح الإله أن يُخَلِّصَ نفوسنا.

## • المراجع

- الأرشمندريت الراهب بيطار، توما، سير القديسين وسائر الأعياد في الكنيسة الأرثوذكسية (السنكسار)- الجزء الأول سنة 1992
- الأخ المتوحد د. غريغوريوس اسطفان، علم الآباء.
- [www.orthodox-saints.com](http://www.orthodox-saints.com)